باب

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين

يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

۞ روى مالكٌ في «الموطأ»: أن رسولَ الله ﷺ قال: «اللهمَّ لا تجعلْ قَبْري وَثَناً يُعبَد، اشتَدَّ غضبُ الله على قومٍ اتَّخَذوا قبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ»(١).

ولابن جَريرٍ بسنده عن سفيانَ، عن منصورٍ، عن مجاهدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩] قال: كان يَلُتُّ لهم السَّوِيقَ، فماتَ فعَكَفُوا على قَبرِه. وكذا قالَ أبو الجَوْزاءِ عن ابنِ عباسٍ: كان يَلُتُّ السَّوِيقَ للحاجِّ(٢).

وعن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما قال: لَعَنَ رسولُ الله =

---

(١) أخرجه مالك: النداء للصلاة (٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري: التفسير (٤٨٥٩).

= ﷺ زائراتِ القُبورِ، والمُتَّخِذينَ عليها المساجدَ والسُّرُجَ. رواهُ أَهلُ السُّنن[1].

فيه مسائلُ:

الأولى: تفسيرُ الأَوثانِ.

الثانية: تفسيرُ العِبادَةِ.

الثالثة: أَنَّه ﷺ لم يَستَعِذْ إِلَّا مـمَّا يَخافُ وُقُوعَه.

الرابعة: قَرْنُه بهذا اتِّخاذَ قبورِ الأنبياءِ مساجدَ.

الخامسة: ذِكْرُ شِدَّة الغَضَب من الله.

السادسة: وهي مِن أهمِّها: صِفَةُ معرفةِ عِبادَةِ اللَّاتِ التي هي مِن أكبرِ الأوثانِ.

السابعة: معرفةُ أَنَّه قبرُ رجلٍ صالحٍ.

الثامنة: أَنَّه اسمُ صاحبِ القبرِ، وذِكرُ معنى التَّسميةِ. =

(١) أبو داود: الجنائز (٣٢٣٦)، والترمذي: الصلاة (٣٢٠)، وابن ماجه: الجنائز (١٥٧٥)، والنسائي: الجنائز (٢٠٤٣).

= **التاسعة**: لَعْنُه زَوَّاراتِ القُبورِ.

العاشرة: لَعْنُه مَن أسرَجَها[١].[٧]

[شرح ٧] قال المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء أن الغلوَّ في قبور الصالحين يصيِّرها أوثاناً تُعبَد من دون الله) هذا الذي قاله المؤلفُ هو الواقع، فالغلوُّ فيها هو الزيادة في حب الصالحين حتى تُوجَد البدع، فالغلو في قبور الصالحين بغير الزيارة الشرعية يُفضي إلى اتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله، فالبناءُ عليها أو العُكوف عليها للدعاء والقراءة عندها ونحو ذلك، أو اتخاذ المساجد عليها، أو ما أشبه ذلك، كلُّه من وجوه الغلوِّ.

وقد جاءَ في حديث ابن عبَّاس الآتي أن النبي ﷺ قال: «إيَّاكم والغلوَّ في الدِّينِ، فإنَّما أَهلَك مَن كان قَبلَكم الغلوُّ في الدِّين»[٢].

فالغلوُّ في الدين هو الزيادة عما شَرَع اللهُ، ومن وجوه هذا الغلوِّ البناءُ على القبور، أو اتخاذها مساجد، ودعاء أصحابها =

---

(١) ص٢٨٤-٢٨٥.

(٢) أخرجه النسائي: مناسك الحج (٣٠٥٧)، وابن ماجه: المناسك (٣٠٢٩).

.....

= والاستغاثة بهم، أو ما أشبه ذلك، هذا كله من أبواب الغلوِّ، والغلوُّ قد يكون بدعةً كالبناء على القبور، وقد يكون شركاً كالاستغاثة بالموتى والنَّذرِ لهم ونحو ذلك، فالغلوُّ في قبورهم يصيِّرها أوثاناً تُعبَد من دون الله كما هو واقع في غالب الأمصار.

وقوله: (رواه مالك في «الموطأ»)، مالك: هو ابنُ أنس الأَصبَحي، إمامُ دار الهجرة المعروف، أحد الأئمة الأربعة، وهو المعروف بعلمه وفضله وجلالته وتقدُّمه في الإسلام، وكانت وفاته سنة تسع وسبعين ومئة رحمه الله، أي: من المئة الثانية.

وقوله: (عن النبي ﷺ أنه قال: اللهمَّ لا تجعلْ قبري وثناً يُعبَد، اشتدَّ غضبُ الله على قوم اتَّخذُوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ)، هذا الحديث رُوِيَ من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلاً، وروي عن أبي سعيد متصلاً[1]، وشواهده في المعنى كثيرة[2]، وقد =

(١) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٤٤٠).

(٢) انظر حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٢٤٦).

.....

= سبق ذكرُ الأحاديث الصحيحة الدالَّة على تحريم الغلوِّ في القبور واتخاذها مساجد، وأن الرسول ﷺ لعن من فعل ذلك من اليهود والنصارى، فعُلِم بذلك أن اتخاذ المساجد على القبور والغلوَّ فيها من أعمال اليهود والنصارى، فوجب الحذرُ من ذلك.

وفي هذا دعاؤه ﷺ بقوله: «اللهمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبَد»، فأجاب الله دعوته فصان قبرَه عن مباشرته بالعبادة من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، فالصحابة دفنوه في بيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم لم يزل في بيته حتى أُقيم عليه الحواجز الأخرى، فالله ـ جل وعلا ـ أجاب هذه الدعوة وحَمى قبرَ نبيه ﷺ من أن يُباشَر بالعبادة.

أما كونُ الجهَّال أشركوا به، فهذا واقع منهم سواء قربَ قبره أو في البلدان البعيدة عن قبره، عليه الصلاة والسلام، فقد غَلَا فيه جمٌّ غفير من الناس، وعَبَدوه من دون الله في البلاد البعيدة والقريبة، إلا مَن وَفَّقه الله وبصَّره في الدين، ولكن الذي طلبه النبي ﷺ ودعا الله أن يقيَه إياه ـ وهو أن يُباشَر قبرُه بالعبادة ـ لم =

.....

= يقع، فصانه الله وحماه بما وقع على يد الصحابة من دفنه في بيته وحمايته من الناس، عليه الصلاة والسلام.

وقوله: «اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» هذا تحذيرٌ للأمة أن يَغْلوا في قبره كما فعل مَن قبلهم، وأن يتخذوه وَثَناً يُعبَد من دون الله، وإنما المشروع اتِّباعه ﷺ وطاعته والسير على منهاجه، أما الغلو في القبر بالدعاءِ من دون الله أو الاستغاثةِ به أو ما أشبه ذلك، فهذا الذي حذَّره أُمتَه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبيَّن لها أن اليهود والنصارى فعلوا ذلك فاستحقوا اللعنة.

وهكذا ما ذكره ابن عباس ومجاهد في اللَّات، فإنه يدل على أن الغلوَّ يُفضي إلى الشِّرك، فإن أهل الطائف غَلَوا في اللات، وكان رجلاً صالحاً يَلُتُّ السَّوِيق للحاجِّ ويطعمهم، فلما مات غَلَوْا فيه وعبدوه من دون الله وبَنَوْا على قبره، وقيل: إنهم غَلَوا في الصخرة التي كان يلتُّ عليها بأن جعلوها على قبره، وبنوا عليه البنايةَ المشهورة وصار معبوداً لأهل الطائف ومن كان على طريقهم، ومن =

.....

= كان تابعاً لهم. فهذا من باب الغلوِّ في الصالحين.

فالمقصود أن اللّات كان من أصنام وأوثان الجاهلية المشهورة، فهدمه النبي ﷺ بعدما فتح الله عليه الطائف وأزال هذه الوثنية، كما هدم العُزَّى وكسر مَنَاة، وأزال الله هذه الأصنام وغيرها في حياته ﷺ، وهكذا فُعل في كل ما عَثَر عليه الصحابة من الأوثان والقبور بعد وفاته ﷺ.

فهذا هو الواجب على وُلاة الأمور أن يزيلوا هذا الشرك، وأن يقضوا على ما يعبده أهلُ الجاهلية من دون الله بالطرق الممكنة التي يستطيعونها في ولايتهم.

ومن شأن الشيطان إغراءُ الناس بالصالحين، وزعمه أنهم يشفعون لمن بنى على قبورهم أو اتخذ عليها مساجدَ أو دعاهم من دون الله، هكذا كان الشيطان يفعل بالناس حتى وقع ما وقع.

ومن أشدِّ من فعل ذلك وأكثرِهم غلوّاً في الصالحين وأهلِ البيت الرافضةُ، ثم سلك مسلكهم جمٌّ غفير من غير الرافضة مع =

.....

= غير أهل البيت ممن ينتسب إلى السُّنة، حتى وقع الشركُ في العالم وفي بلدان كثيرة، وعُبدت القبور وبُني عليها واتُّخذ عليها القِبابُ والمساجد، كل هذا مشابهةً لليهود والنصارى، فوَجَبَ على أهل الإسلام أن يحذروا ذلك وأن يُحذِّروه الناس، ووجب على وُلاة الأمور أن يُزِيلوه من الوجود متى قَدَرُوا.

وفَّق الله الجميع، وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد.

obeikandl.com